حَدائِــقُ الدّهْشَــة

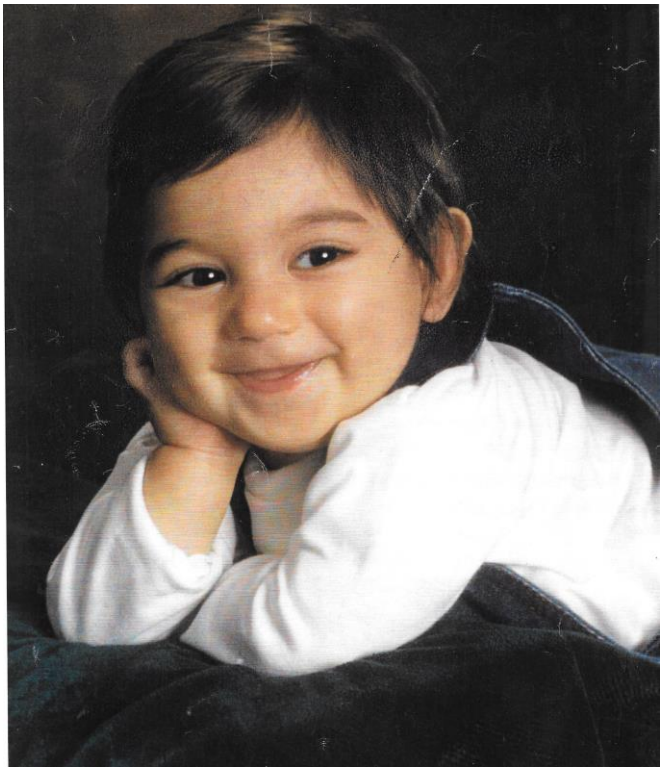

شعر

محمد يعقوب الهنداوي

حدائق الدهشة

شعر

محمد يعقوب الهنداوي

دار التنوير للطباعة والنشر
لندن – الطبعة الأولى 2020

جميع الحقوق محفوظة

البريد الالكتروني: almadaalbabily@hotmail.com

الى

مشاعلِ العطاءِ والحبِ والنورِ

الهادرةِ في روحي

رحمة جواد

راجحة يعقوب

هناء رزاق

لبنى هاشم

رواد ابراهيم

وشمس التنوير الخالدة نوال السعداوي

شَرَراً

تهيلُ لُماكِ في رِئَتِي

لا اللّيلُ يُدركُهُ ولا سَغَبي

فَكَـأنّكِ الزلزالُ يأخذُني

وَكَـأنّني موسى

بِلا حُجُبِ

هكذا يَكتُبُ الرّائي رُؤاه

كَتَبَتْ لِي:

"أحببتُ في قصيدتِك:

نهرَ النهارْ

وخجلَ الصنوبرْ

وعَطشَ المَحارْ

ولكن،

العنبر الوحشيّ..... صورةٌ مخيفة... ربّما لأنّي أعشقُ رائحةَ العنبر

أُريدُ أن أعْرفَ مقصدَك من:

العنبرُ الوحشيّ في مِسْكِ اللّيالي لا ينام...

أعلمُ أنّ الشاعرَ تختلطُ عليهِ الصورُ أحياناً، ولكنّها اختلطتْ عليّ كثيراً فتِهتُ...

جمالُ كلماتِكَ يُجبِرُني على أنْ أرتشفَ حتّى آخر قطرة...."

وكتبْتُ لها:

تنثالُ في ذهنِ الشاعر صور ورؤى لا تحتكم الى ما هو متعارف من تفاسيرٍ من مدلولاتِ المفردة أو مقاييسِ التمنطق ومعايير النقد، فمن يفشل في أن يكون مبدعا يصبح ناقدا...

في الشعر لا أكتبُ شيئاً عامداً بإرادةٍ مسبقة بل أخطّ ما يُملى عليّ وأنا هائمٌ في عوالم فاتنة من الضوء تتراءى فيها طلاسمُ لها هيئة أيقوناتٍ مزخرفةٍ تتهادى من العُلى كالريش وتذهب في كل صوب بفعل نسائم خفية

أتابعُ تلك الأيقونات تتأرجح ثم لا تلبث أن تضمحلّ في بحرِ ضوءً أو تحطّ كالفراشاتِ في مواضع أخرى ربّما كان فيها شاعر آخر يهيمُ في عوالم ذهوله وغيبوبة الحس المروّض

أكاد أقرأ أحياناً ما في تلك الطلاسم وأشخّص مفرداتِها من صورٍ وحروف لكنّ نسائمَ خفيةً أخرى تهبّ من جهة لا أعلمها تُبعدها عن مرمى بصري كما كنا صغارا نطارد ريشة في حقلٍ... يومَ نسيم

فأعود بنشوةٍ تتغلغلُ في كياني وتنتابُ جسدي قشعريرةٌ أحبّها وأحبّ انتفاضةَ الجسد في كنفها مسلوبَ الارادة

حين يكون لي نصيبٌ من بعضِ تلك الطلاسم تتهادى تلك الأيقونات من عُلاها كريشة تلاعبها الريح ثم ما أن تبلغ مُنتصف المدى في فيض نور عارم تتجه نحوي حثيثا وآنئذ أعرفُ أنّ آنَ النبوءة آنْ

تصبح الأيقونةُ الطلّسمُ قاب قوسين أو أدنى من ناظري فتنفكّ عُراها وتتراخى صلاتُها فلا تعودُ طلاسمَ بل حروفاً ورسوماً وأنغاماً تسيل على كفّ خفية تعيدُ قذفَها في الهواءِ مليّاً حتى ألتقطُ منها ما استطعت

إذ أفيق من غيبوبتي تلك التي لا أدري كم تطول بمقاييس وحسابات الشعور المروّض أتغنّى بما رأيت وأستعيد اللحن من تهادي رياش تلك الطلاسم في مهب الضوء

أتذكر أحيانا أن هذا كان شعرا وأن بإمكاني أن أكتبه

إذا كنت محظوظا وجدت قلما فأقتنص تلك اللحظات في شِباك الورق أما إذا لم أجد فغالبا ما تظل الأغنية تدوّم في الرأس حتى تضمحل دوائرها في بحيرة اللا ذاكرة وتغيب

في لحظات الحسرة التي تعقب تلك الرؤى غالبا ما ألوم نفسي على الوقوف هكذا في استلاب المأخوذ بدلا من الاقتراب من تلك الطلاسم والتقاطها وتفكيك عناصرها والامساك بجوهرها الغامض كلّه

في استعادات لاحقة للحظات الوعي الطفل أذكر صحوي في بعض الصباحات وأنا أسترجع حلماً رأيتُه منذ قليل وأكوامُ المال بين يديّ فألوم كفّي اللتين ارتخيتا وأفلتتا ما فيهما لأحكّ رأسي أو قفاي وأعاهد نفسي على أن أشدّ قبضتي جيدا في المرة القادمة لأعود من الحلم ثريّا

في الحالين أصحو على الخواء

وفي الحالين تذوب فرحة الطفل لحظة يزيح الغطاء عن السر فيكتسح ضجيج الآخرين دواخله فيختلّ نظام الأشياء

هكذا... نختلس قبلة وضمّة واحتضان ونشمّ عبق حقول العنبر في حضور أميرة الحلم لنظل نحياه طويلاً طويلا ونحن نجوب غربات الوعي والجسد يقتلنا شيءٌ نسميه خداعا حنيناً الى وطن

ونحن ندري أنه حنين لتلك الزوايا الخبيئة وما خفي من شهوات الروح وأنينها المكتوم

* * *

أُمّي

يا رَحْمَةُ رَبّي
يا وَجهَ اللهِ بقلبي
يا أجملَ أُنثى تَفـْقأُ عينَ الشمسِ
لِتَحْمِيني
تَعـْجِـزُ لـُقـْمَتَها بالدّمعِ
لِتـُطعِمَني
وتُحيلُ الحُزنَ جَمالا
وسكينتـُها ترويني
مَنْ بَعدَكِ يـُنبـِئُـني بِالعيدِ
وَيَرتـُقُ أثـْوابي؟
مَنْ يَسْمعُ أَوْجاعي في الصحوِ
وفي نـَوْمِي؟
مَنْ يـَنـْسجُ مِنْ يَـأسِي
أشْرِعَةً للمُقبـِلِ
وَالأَجـْمـَلِ
والأَنـْبـَل؟
مَنْ بَعدكِ تَسـْقيني بَرْداً وَسَلاماً
مِنْ تـَنّورِ شـَقاها...!

* * *

رَضعـتُ النّارَ مِنْ ثَديِ الثُريّا
فأرّقـَني سطوعُكِ في عِظامي

مِنْ أَدِيمِ الفراتِ أسْتمدُ نَسْغي
وأقتبسُ مِنهُ لَهـْبِيَ المُتطاولْ

ولِدِجـْلةَ
مَدِينٌ أنا بِحـُبّيَ الأَوّلْ
وَبِفـَشليَ الأَوّلِ في الحُبِّ
أيْضاً

وَمَدِينٌ لِعَيـْنَيكِ بِجنونيَ المُتـّقِدِ
وَبِـخَوفيَ الأَوّل

كثيرةٌ مُنـْعَطفاتُ العمر
لكنّ رعشتيَ الأولى
كانتْ مِنـْكِ
وَفِيكِ

وَلِسِحْرِ تِلكَ الرّعْشةِ الأولى
مَدِينٌ أنا
بِشرودي وحُزني

كثيرةٌ هِيَ احْتِمالاتُ الفَرَح
لكنّها
كُلُّها
تَسْتَلْزِمُني التّخلّي عَنكِ

وَأَنا...

مِنْ أَدِيمِ الفرُاتِ أسْتمِدّ نَسْغي ولَهْبي
وَلِدِجْلةَ مَدِينٌ بِحبّي
وَمَدِينٌ لِعينيكِ
بِجنوني وحُزني
وأنتِ... أنتِ

فكيفَ الإنطفاءُ على مَفْرقِ شَطّ آخرْ؟

لِذا
تَخَلّيتُ عَن الفَرَحِ بقرارٍ مجنونْ
لكنّهُ قَطْعي.

* * *

بين بغدادَ والشمسِ قُنْطرَةٌ
فاسْرجِي لَوْعَتي
إنّني أَوّلُ العابِرين

تَنْـداحُ على شَطّ البصرةِ أُغنيتي

روزا ...

يا روزا

أجنحَتي هَرمتْ

أشْـرعتي هَجَرتْها الريحُ

وها أتبعُ نجماً مخبولاً

يُعْشقُ للعِشقِ

لِمَحضِ العشق

مُغنّاتي هَودَجُ عِرسٍ مَذبوحٍ

وسَفيني سادرةٌ بين الرّغبةِ والجرحِ

ولا ميناء

عَروسٌ ثَكلى

يا كُلّ عِذوقِ البَصرةِ روحي

عَطشٌ بدويّ شَجّ دَمي

والمنفى يُوغلُ فيّ

وأُوغلُ فيه

ولا مرفأَ في الغربةِ ترتاحُ الروحُ إليه

سُنـَوْنَوةٌ أنهكَها العِشقُ

وما بَرحَتْ

قطاةٌ سَباها الحنينُ لنخلِ الفراتِ

سَباها الفراتُ

تَجلّى لها نَوْرساً

أيّها النّورسُ الطّلقُ

يا عرسَ روحي الذّبيحةَ

كيفَ العراقُ؟

وكيفَ النخيلُ،

البناتُ،

الحَمائمُ؟

يا أيّها النَورسُ الطلقُ مَسْبيةٌ بالفراتينِ روحي

فَهَلاّ رَوَيْتَ التياعي لِعينيكِ

يا وطناً

نَعشقُ الشّمسَ فيهِ

ونَسْرجُها بالدماءِ

ونَرفدُها بالأغاني...

فُراتٌ

فُراتٌ

فُراتُ

أحِنّ الى قطرةٍ من نَداكَ

إذا أوْحلَتْ من ترابِ العراق

أحِنّ الى شَمْعةٍ أسْرجَ العِشقَ فيها صَباحُ العِراقِ

تُوَرّقُني

والطفولةَ

والعَندليبَ الذي أزهرتْ في أغانيهِ

رائِحةُ الأقحوانِ العراقيّ

يا ريحَ بغدادَ

نسراً أموتُ على راحتيكِ

ولا أنـْحَني

للرّياحِ البذيئة

* * *

تَوَهّمْتُ فيك شِراعي

حلوتي

مُرّةٌ شفتاكِ

وليسَ بأحلى من الحبِّ والموتِ بينهما

أنتِ من أجّجَ القَهرَ في لغتي

والمَرارةَ

والأغنياتِ الفراتيةِّ القَسَمات

لكلّ النخيلِ الحزينِ على ضفّتي الفرات

لحبيبي الذي أزهرَ الدَمُّ في شفتيه

وما زالَ يحبو

وما زالَ يكبو

ولا زالَ تورقُ في روحهِ الغجريةِ أحلى الشموس

يَجيء نبيّاً يموجُ بعينيهِ ضِحكُ الصّبايا

ويَصْهلُ تَحتَ عَباءتهِ الأرجوانيّةِ الفجرُ

مُنفلتاً بانطلاقتِهِ الأزليّة

قادَ خُطاهُ الفراتُ إلينا

وَجاءَ على صهوةِ الريحِ يكتسحُ الموتَ

أغنيةً تورقُ الفرحَ الغجريّ بثغرِ بلادي

عيناهُ العاصفتان شموسٌ حَزْنى

سوناتا تَعبرُ كلّ همومِ الزمنِ المرّ

تُطبّبُ قلبي

فَتَـعالَ حبيبي

تعالَ

تعال

أطرّزُ منديلَ عرسِكَ من حزنِ أُمّي

ونذراَ

بعينيكَ

أسرجُ كلّ جراحاتِ روحي

وأفرحُ من كلِّ قلبي

بنات الفراتِ

تعالينَ نَحملُ هودجَ عرسِ حبيبي

نحيطُ جراحَ رجولتهِ بالهلاهلِ

بالشّبقِ البدويّ

بكلّ التياعِ المحبّين

نبكي على ركبتيهِ طويلا

* * *

لـــُبْنى

يا مَنْ حَوى أحْلى الصّفاتِ بذاتِهِ
ويَفيضُ فَيضُ الفَيْضِ من لَفتاتِهِ

يا مَنْ تُطِلّ الشّمسُ من بَسماتِهِ
ويَهِلُّ نورُ البدءِ من قَسَماتِهِ

طـَمَعي الى كأسٍ مُزِجتَ بنورِها
كتمازجِ الأضواءِ في مِشكاتِهِ

مازجتَ نفسَ النفسِ في أنفاسِها
وغدوتَ من قلبي لظى نفثاتِهِ

لا تَعْدلنّ فَبـَرْقُ عَدلِكَ ساطعٌ
يَخْبو وَجـِيبُ الروحِ في ومضاتِهِ

يا مَنْ فـُؤادي ذابَ في هَمساتِـهِ
فَعَبَدْتُه وعَشقتُ حلوَ صِفاتــِهِ

راودْتــُهُ عنْ نـَفْسِـهِ بِمَودّتي
فَهوى إليّ بِحُبــّهِ وأناتــِهِ

ذَوّبْتــَني بهواكَ حتى خِلتُـني
قـَلـْبــًا تَقرّبَ بِالهوى مِنْ ذاتــِهِ

لا تَعـْدلـنّ فبرقُ عدلِكَ ساطعٌ
يَخـْبو وَجيبُ الروحِ في ومضاتهِ

* * *

خائفٌ مِنـْكَ عَلَيـْكْ

لَـهفةُ الشّوقِ ونارُ الإقْحِوانْ

أنـْشَبـَتْ أظفارَ رُمّانٍ منَ الخَوفِ عَليكْ

فأضَأتُ الأمْسَ مِصْباحاً على دربِ اللّيالي

قمراً من وجْنتيكْ

حالِماً أحْلمُ بالأحلامِ في لوعةِ حلمي

وأُناجي مُقلتيكْ

يا طبيباً طِبّهُ عِلّةُ نـَفسي

مَنْ يُداوي عِلّتي

والشّوقُ نارٌ تَبذر اللّهفة في ظلْمةِ ليلي

وعبيرٌ ينبضُ القلبُ بهِ نهراً من القدّاحِ والنارنجِ

شَمْساً وتَجَلّتْ

في سَماواتٍ من الشّوقِ إليكْ

خائفٌ منكَ عليكْ

* * *

ماذا يـَظِنُّ الياسَمِينُ

إذا رأى رَيْحانةً ريّانةً سَكرانةً تَتدَسُّ في حضنِ النَدى

الشِعرُ يَنبِضُ من حضورِك كالمِرايا في المِرايا

كالصّدى خللَ الصّدى

يا فَرحَةَ القِدّاحِ في جَذَلِ النّدى

هَوى كلُّ قلبي

لِـلُؤلؤةٍ

وَضَعَ الدّهرُ فيها مَعينَ مَفاخرِهِ

وتَقاطـَرَ بَينَ يَديها نداءُ الفُصولْ

يُراوِدُها الصُبحُ عن نورِها

والأَغاني

وشَدوُ النُهَيـْراتِ

في كاحِلَيـْها تَصولْ

إذا رَقَصَتْ

رَقَصَ الفَجرُ فيها

سَحائبَ تكتظّ شَوقاً

وَيَنـْثالُ في سَلـّةِ الصُبحِ قَطرُ النّدى

والنجومُ البَـتولْ

فتـأخُذُني نَشوةٌ منكِ

فيكِ

إليك

لأَبـْصمَ سِرّ اشتهائي على شَفَتَين

هُما البِدءُ

والإِنـْتـِهاءْ

هُما العِشقُ

والإِشْتـِهاءْ

هُما الماءُ

والصّمتُ

والفَيءُ

والجُلـّنارُ

وسِرّ الفناءِ

ومَعْنى البَقاءْ

هُما مَجْدُ قلبي

وأَرْشِفُ مِنْ رَوعةٍ هي عِبقُ الوجودِ

حَبيبي

وأَنهَمِرُ الآنَ مثلَ دموعِ الينابيعِ منكَ

وفيك

أسيلُ طرياً على شَفَتَيك

الى مفرقِ النّحرِ روحي تَميل

فيكَ كُلّ الشّذى

أنتَ نَبعُ الندى

واختلاجُ الأَصيل

وَبَيْني وبَيْنكَ

عاصِفةُ العطرِ شلّتْ لِساني

فكلّ النساءِ اجْتَمَعنَ هنا

بَينَ كفيّ

يقطرنَ خمرَ الخليقةِ فيك

حبيبي

أَسيلُ الى أَصلِ كلّ الينابيعِ

مثلَ حصانٍ جموحٍ

وبينَ المفاتنِ يَكبو

يَفِيءُ الى الصمتِ

يَنبثقُ العِطرُ يَملأُ كلّ الدُنى

وقِنديلُ روحي على ربوةِ الليلِ يَخبو

خاشِعاً في رحابِكَ

أسرجُ كلّ المُنى

شمعةً لحبيبي

أنتَ من قلبي

بقلبي

ولقلبي

يا حبيبي

كلّ قلبي

* * *

بَيْنَ يَدَيـْك يَهيمُ الهَوى
وَيَشتّ الشّتات
وأَعدُو على لاهبِ الجَمرِ
ليسَ بقلبي سِواك

عبقُ البنفسجِ عارماً

يجتاحُ أعشاشَ المَها

خَـلَـلَ اختلاجِكِ

أغمسُ الرعشاتِ

في عطشِ السنونو

أنفخُ الجمراتِ

أمسحُ غبشةَ الأصباحِ

عنْ تينِ انتظارِكِ

والنّدى عبقُ

أخوضُ غمامةَ الليلِ المكوّرِ

في شذى الحُلماتِ

مأخوذاً بلذعِ كوامنِ الجُمّار

معتكفاً بنونِ النّهدِ

أُرْبِـكُ دورةَ الأفلاكِ في تاءِ الانوثةِ

أقطفُ نزوةَ الرّمانِ

أجمعُها

وأندلقُ

أميطُ طراوةَ الأعشابِ عن بوحِ الصّنوبر

مثلَ ديدنِهِ

يُراوغُني

وأُدرِكُهُ

ويمكرُ بي

ونحترقُ

* * *

بَوْحُ الصنوبر

متأبّطاً أرقي
أخوضُ غمارَ بحرِك
مأربي سَبَأٌ
وراحلتي
رمــال

تتزاحمُ الصبواتُ غابةَ جُلّنارْ

العمرُ ليلٌ والنّجيعُ يلفّني

متعثّراُ بالريحِ والأشباحِ

مُؤْتزِراً بوحلِ الانكسارْ

كيف انـْتهى القلبُ المُضمّخِ بالسَرابِ إليكِ

لؤلؤةً تنامُ بحضنِ بحرِ الأمنيات

أشرقتِ من قلبِ المحار

شَذاكِ مقتبلُ النهارْ

* * *

هيام

ما صباحٌ كصباحاتِكِ

ينثالُ بهِ النورُ

ويكتظّ بهِ العطرُ

وروحُ الوردِ فيكْ

يا هياماً

سهرَ اللهُ كثيراً

ليهيلَ السحرَ والطيبَ

ومن كلّ جميلٍ حلّ فيكْ

أَتُرى يجمعُ نحلُ الحبّ كلّ الشَهدِ في فيكِ

أم النحلُ يرى أصلَ نقاءِ الشهدِ

فيك...

نبعُ يَنابيعِ الفَيض

المركبُ سكرانٌ

والموجةُ أنثى

وصغارُ السمكِ المفتونِ

تحيط بهودجِ عِشقي

عاريةً

إلا من بللِ الرغبةِ

والماءُ يراودُ أشْرعتي

أهجِسُ رائحةَ الموجِ

تسبّحُ باسمكَ

يا نبعَ ينابيعِ الفيضِ

حبيبي

يا بدءَ الخلق

وفحوى الشوق

وأقصى العشق

ومأوى الرغبة

خلَلَ الرعشةِ أرقبُ فانوسَ العمرِ يؤوبُ اليكِ

وطعمَ الزَغَبِ الناشِبِ في القلبِ سِهاما

يكتظّ الصدرُ بعبقِ رؤاكِ

وأنتِ برائحة البرّ البدويّ

تَمُورين سَراباً في أرقي

فأذوبُ هياما

وأريدُ حبيبي

* * *

لا الشهدُ يَعْدِلُهُ ولا القدّاح

والشّمسِ

والمشكاةِ

والماءِ المُشَعْشَعِ

والسّرابِ

ماكنتُ إلاّ عابراً في بحر مجدكَ

حين أَدْرَكَني أريجُ الحقّ

فيّاضاً

وهبّ الضوءُ

مُصْطَخِباً

يَدقّ على رتاجاتِ اضْطرابي

في حضرةِ الثِقلَيْن

مأخوذاً وقفتُ بلا حجـابِ

ما كنتُ إلاّ عابراً في أرضِ جـودِكَ

كالغـَريبِ الى اغترابِ

حينَ انْتـهَيتُ الى مقامِ الحلمِ

والمَجدِ المُؤثـّل

والنّدى

فعـلامَ أطمـعُ بالمـآبِ

لوْ لمْ تكُنْ إلا زوابــعَ عاتيـاتٍ

لم أرُمْ إلاّك بستـاناً لفاكِهَتـي

ولا أوْصَدْتُ قدّام الريـاحِ السودِ بابي

ولبثتُ كالعصفور

ألقطُ حَبـّةً

في إثْرِ حَبـّةْ

وأواصِلُ الياقـوتَ في أحلى الجَنـائنِ والرّوابي

لوْ كُنْتَ بَرْداً

ما ابْـتَـغَتْ روحي بَديلاً عنكَ

دِفْئاً في سَريري

مَنْ أنتَ

يا مَلِكاً إذا لاقيتُهُ

يَهْتَزّ مُختالاً

كأنّكَ لمْ تَكُنْ يوماً أسيري

ما أنتَ يا قَمَراً

تَرَجْرَجَ

إنْ تَلَجْلَجَ في عيوني الدمعُ

يا شَمساً طَغَتْ

أعْيا تلألؤُها

بِحاري

يا عِبْقَ ماءِ الورْدِ

في رِسْغِ العـَروسِ

وَرِقـّةَ الشمـّامِ

في أَسْرِ الحَريرِ

أَنـّى أُراودُهُ

يَضــوعُ

وأينـَما قبـّلْتـُهُ

ذابَتْ شِفاهي في الحَـلاوةِ

كالنـّدى عـَطـِراً

تَرَقـْرَقَ

في ثُوَيْجـاتِ القصــيدةِ

نافِـراً

نَزِقاً

يضيــقُ بِسَطـْوةِ الأزْرارِ

يَخـْطـرُ كالأميـــرِ

* * *

لا تَنـْكأِي يا زهرةَ الرُمّان

الآنَ
أنْهَضُ من نَجيعِ مَدائِني
كالضوءِ
أرْقُصُ
في العَواصِفِ والبُرُوقِ

الآنَ
أُولدُ إذْ يَسيلُ السُمّ في شَفَـتَـيّ
يزأرُ في عُروقي

عطشانُ
يا عَيْني
وأنتِ الماءُ
يُورقُ في الصّواعقِ
وَردةً
في إثْرِ وَردة
وفداكِ ضيّعتُ البواصلَ والمراسي

أنـْكَرْتُ دَرْبَ اللهِ في خَبـَلِ الهوى
وركَبْـتُ ألْوانَ المَعاصِي
وأصَخـْتُ للفَرَحِ المُوَشْوِشِ
في صدورِ النخلِ والأشجارِ
أزغَبَ في جناحِيْ الخوفُ
في جَـذَلي الدموعْ
وأنتِ محرابي
وفي نجواكِ
يأخذُني الخشوعْ

في البَحْرِ تذْري الرّيحُ أحْزانَ الرّمالِ
وأنا
ووجهُـكِ
والجوى
نطفو على ماءِ اللّيالي

لو أنّ آدم كانَ صنوكِ في الجمالِ
ما عصى إبليس
وانكبّتْ تُواكِبُهُ الجبالُ الصّمّ
والشُهبُ العوالي

* * *

صمتاً

يا كلّ مزاميرِ السحرِ وأنفاسَ الجانْ

وكلّ لغاتِ الشعرِ ونبضِ الانسانْ

أسمعُ ماءَ العشقِ يراودُ نسغَ الأشجار

وعاشقةً ترفلُ باللؤلؤِ والمرجانْ

ترشقُ بستانَ الكونِ بفيضِ نجومً من غزلٍ

عسلاً أصفى من عسلِ التين

تدفّقَ يقذفُ قلبَ الليلِ

بطوفانِ قناديلً منْ شَبَقٍ

ترياقُ اللحنِ يذوبُ بِها

ويسيلُ على أحلى شفتين بروقا

تورقُ في الغيمِ مشاعلَ

تكتظّ بحمرةِ خدّيْها

ويسيلُ المطرُ الفضيّ دفيئاً عذبا

وتلاحقُهُ أنفاسُ العاشقِ محموماً

وغريقا

* * *

شهـــــــــــرزاد

بِرُؤاكِ

تَغتسلُ القصائدُ من غبارِ الحزنِ

في نهرِ النهــارْ

ومَراكبي السوداءُ

أرهقَها التَرَجـّي في يَبابِ الانتظارْ

كالموجِ

تنشقّ المرايا عنْ مرايا

كالعيونْ

بالرعدِ تغتسلُ البروقْ

بالنارِ تغتسلُ الشموعْ

بالصمــتِ أغسلُ خيبتي

وألوذُ بعدكِ بالدموعْ

الليلُ بئرٌ لا قرارَ لهُ

على نارِ البنفسـجِ والظنون

أنامُ في كفّـيكَ

يَغلبُني اشتهاءُ المُنتـهى

فتُماحكُ الصبواتِ في صَدري

وتعبثُ بالنُهــى

كالعنبـرِ الوحشيّ في مِسْكِ اللّيالي

جئتَ مسبوقاً بعاصفةِ الأريج

تصبُّ في حلمي غرامَ السِندبادْ

وأنا

كأنّي شهرزادْ

يخبُّ في جَسَدي دبيبُ النحلِ

مسعوراً

وترتبكُ الفصولْ

العنبرُ الوحشيُّ في مِسْك الليالي لا ينـامْ

وأنتَ ملتذّا بلذعِ كوامنِ الجمّار

رحتَ تميطُ طراوةَ الأعشابِ

عنْ خجلِ الصنوبرِ

تنفخُ الجمراتِ

تبصمُ جذوةَ النارنجِ

في عطشِ المحارُ

الليلُ بئرٌ لا قرارَ لهُ

على نارِ البنفسجِ

جئتَ مسبوقاً بعاصفةِ الأريجْ

وأنا...

.....

وترتبكُ الفصولْ

نارُ البنفسجِ تستفيقُ مع الغروبِ

وأنتَ منقطعٌ إليْكْ

ما هَمَّ لوْ كانَ الفراقُ سفينةً

وأخَذتَني فيها شراعا

لوْ جئتَ تلعبُ بالضفائرِ

مثلما عوّدتَني

لأنامَ في كفّيك

ألمسُ وَجْهَ أمّي

مثلَ عافيةِ النخيل

حبيبةً خضراءَ تحكمُ لي دِثاري

بأصابعٍ تبكي

تروزُ طفولتي

وتلوكُ جمرَ الانتظارِ

الليلُ بئرٌ لا قرارَ لهُ

وأنتَ مأخوذاً

تميطُ طراوةَ الأعشابِ

عن وكرِ العنادلِ

تنفخُ الجمراتِ

تبصمُ لسعةَ الأشواكِ في حلمي

تريقُ في أَرَقي شجونَ السندبادْ

وأنا

ولهفةُ شهرزادْ

نَبكي

فتضطربُ الفصولْ

وأنامُ في كفّيك

يغلبُني اشتهاءُ المنتهى

فتماحكُ الصبواتِ في حِجْري

وتعبثُ بالنُهى

كالعنبرِ الوحشيّ في مِسْكِ الليالي

جئتَ مسبوقاً بعاصفةِ الأريج

تصبُّ في حلمي غرامَ السندبادْ

تقتاتُ من عينيكَ أغنيتي

وترتبكُ الفصولْ

* * *

معاً يا حبيبي

معاً يا حبيبي

نجوبُ على صهوةِ الضوءِ تيهَ العوالمِ

نطعمُ جوعَ الشموسِ

ونملأُ أشداقَها باللهيبِ

نعدّلُ بعضَ المدارات

نحشو الكواكبَ في معطفِ الليل

أو نَنـْثرُ الشُهْبَ في طُرُقاتِ السَحَر

معاَ يا حبيبي

على صهوةِ الريحِ

نَمخرُ روحَ المحيط

نواصلُ أحلى المدائنِ

نغرسُ بذرَ المحبّةِ في كلّ قلبٍ

ونسرجُ بالنورِ دربَ المحبين فجرا

معاً يا حبيبي

على هاجسِ الحزنِ

نرحلُ بين اليتامى وزهوِ المقابرِ

نعجنُ رملَ الرفاتِ بضوءِ النجوم

ونفحِ الخزامى

لتنبتَ أشهى الشفاهِ وأحلى القدود

ونمسحُ عن صرخةِ الوضعِ أوجاعَها

ونجفّف من عَرَقِ الطلْقِ مجدَ الأمومةِ

نحبسُ في غيهبِ الليلِ حزنَ البشرْ

وفي آخرِ الحزنِ

يمضي سرابُك

أمضي على صهوةِ الحزنِ وحدي

أُسَمِّر روحي الى رحمِ الكون

أبكي لما يفعلُ العشقُ بالعاشقين

وأضحكُ من بؤسِ هذا القدرْ

* * *

نوافذِ روحي

الريحُ تُعولُ في خرائبِ روحي
وأنتِ
لصيقةُ قلبي كالحزن
حلوةٌ كالوهم
ناعمةٌ كالكِذْب
مرهفةٌ كسكّين
مرةٌ وقاسيةٌ كخوفي عليك
أحبّك بوحشيةِ الغابة
بصدقِ طعناتِ غدرِك
وبطعمِ الاشتهاءِ المشوبِ بالقلقْ
آه يا حبيبتي، أودّ لو أَذُقّ عنقَك

مُشْرَعةٌ

كلّ نوافذِ روحي للريحِ المجنونةِ

يا قمري الغجريّ

وعيناكِ بلادي

فخذيني

خذيني

أتيتُكِ أحْملُ كلّ اشتهاءِ الحسينِ

لقطرةِ ماءٍ تراودُ حلقومَه المتفطّرِ

أقصوصةً من خرافاتِ أُمّي

اشتهيتُك

أو...

هودجاً من عذابْ

أتيتُكِ

من زمنٍ موغلٍ في التّقادمِ

مُزدحماً بالطقوسِ الغريبةِ

أرقبُ فانوسَكِ المتأجّجَ

ينثالُ في سَبخةِ العُمْرِ

يَسْتزرعُ الأغنياتِ إذا أمْحلَ القلبُ

فانْغرسي مديةً في دمي المُتوحّدِ

أو غيمةً في صحاراي

يا وردةَ النار

قنديلُ عشقٍ أنا النهرُ

وسّدتُ روحي لدى بحرِ عينيكِ

أوْغلتُ

أوْغلت

تَنداحُ روحي تُويجاتِ ماءٍ

ولكنّ قافلةَ الحلمِ قدْ فارقتْ

فاتّئدْ أيّها البدويّ المبعثرُ بينَ المدائنِ والصبوات

عطشٌ يستفزّ شراييكَ المتعبات

وبينَ الأحبةِ والقلبِ

أسوارُ بابلْ

* * *

مُـنـى

عيناكِ في صحراءِ روحي واحتانْ

عيناكِ زنبقتان

سنبلتان من أرقٍ تخضّبُ روحيَ الثكلى

وأعشقُ كلّ ما فيها

وتغسلُني بدفءٍ في ثناياها يُكرْكرُ في يَنابيعٍ

تُزخرفُ صَفحةَ العُمرِ الذي ضَيّعتُه رَدْحاً

أفتّشُ عن رَصيفٍ واحةٍ أفضي لعينيها بأسْراري

وفي عينيكِ لاقيتُ الذي ضيعتُهُ

ما بين نخلاتِ العراقِ وحزنِ بابِ الشيخ

يا قنديلَ روحي أنتِ

يا أنغامَ أوتارٍ ترتّل نشوةَ الشمسِ التي تأتي

لتغسلَ وجهَ عالمِنا

فيضحكُ مثل عينيك

* * *

رَواد

خضّبيني بعينيكِ يا نورسَ الروحِ

أخضلُّ

أو فانزعي الرمزَ عن لغتي البابليّة

ها جئتُكِ الآنَ

قارورةً من ندىً هشّمتْها المطارقُ قلبي

وقافلةً من قطاً هائمٍ

عُدتُ

قُدّام عَينيكِ وَسّدتُ روحي الذبيحةَ

سنبلةً لا بلادَ لها

نورساً أنكرتْهُ الرياحُ

هَبيني جناحاً

أُقارعُ كلّ الرياحِ البذيئةِ

أو فامنحيني بلاداً بعينيكِ أصْبو إليها

لأغفو لدى دفئِها

وأموت

* * *

بَيْن يَدَيْكِ

تَضوعٌ الدُنى محضَ عطرٍ وماءْ

بين يديكِ

تفورُ الشموسُ

من العشقِ والاكتواءْ

وبين يديكِ

تذوبُ القوافي

تمورُ الفيافي

وفي نشوتي

ينتشي الازدهاءْ

أسيلُ دموعاً من الرملِ يشربُها المطرُ الاندلاقُ

وأعشقُ عبقَ بنفسجةٍ

هي منكِ

اليكِ

وفيكِ

احتراقُ

وشلالُ دفءٍ تفجّرَ من كلِ ناصيةٍ

سجدتانِ هما فيكِ

منكِ

اليكِ

وأنتِ من الإثمِ فيها

براءْ

لهيبٌ إذا الليلُ أضنى شجوني

فأنتِ الهدى

منكِ

فيكِ

اليكِ

التجاءْ

* * *

مَيـــْـــس

رُدّي عليّ القبر مَذبوحاً تُحاصرُني دِمائي
الماءُ يأخذُني
وبيْ عطشٌ يراودُ كبريائي

أراكِ في اسْتفاقةِ النبعِ

ونبضِ الماءْ

سَيرورة تخفقُ في محاجرِ الأشياءْ

زيتونةً تغسلُ عن رموشِها تثاؤبَ المساءْ

بالضوءِ والنّدى

أراكِ في تنفُّسِ الفجرِ

وأسرابِ الفراشاتِ تحوكُ اللونَ من مَراشفِ الشّذى

كأنّها أصابعُ الإلهْ

تُعيد جمعَ اللّحنِ في قارورةِ الصدى

لتورقُ الحياةُ من جديدْ

منْ حُمرةِ النّجيعْ

أحَلْتِ رَمادي قصائدَ من عسلِ النخلِ والجُلّنارْ

وأشْعَلْتِ في نهرِ روحي لهيبَ الدمارْ

وأشْرعتِ حزني أغاريدَ عرسٍ لِلُقيا النهارْ

ثلاثونَ والقلبُ صمتٌ كئيبٌ يلوكُ أغاني انْدحارْ

فأورقتِ فيهِ كضوءِ الثريّا

وضحكِ المرايا

ومحضِ انبهارْ

وسربَ براعم في القلبِ

تُعطي أشفَّ الثمارْ

* * *

أبحث عن لغة
لا تهرس أضراس قواعدها حلمي

في حُطامِ دَمِي وردةٌ

كالبنفسجِ صفراء

يَخْفِقُ جُنْحُ السنونو

يطفِّئ شَمْعتَها الوانيةْ

هي الحلمُ طفلاً يُولْوِلُ ساعاتَ نومِكَ

والصمتُ يُعْوِلُ

هَبْكَ تَثاقَلْتَ في حَضْرةِ الدفءِ نشوانَ بالإهْتِزازِ

وكانتْ مَعابِرُ روحِكَ خاليةً من جنودِ الرّقابَةِ

تَمْخَرُها الرغباتُ

تَمِيسُ على الجسرِ

طَوراً فَرادى

وطَوراً تَمِيد رَفُوفاً

يُلاعِبُ أثْداءَها الماءُ

بينَ الشّموسِ الصّغيرةِ

والنهرُ غابةُ دفءٍ

تَنامُ على راحةِ الماءِ كُحْلاً

وأَصْلا

فللنارِ في لغةِ العاشقينَ اشتهاءٌ

تـكِـرّ الفراشاتُ في لاهبِ الجَمْرِ

يَصْرَعُها شبقٌ باهرٌ

مُبـْهِرٌ في أُجاجِ الدّماءِ الثّجاجِ ارتجاجُ الحَناجِرِ

بينَ الخَناجِرِ

بُشرى الخرابِ الجميلْ

نَزِيفُ الفراشاتِ يَمتَدّ فينا

ويأخذنا الإمتدادْ

نُـفارِقُ خوفاً قديماً

تَرَكْناهُ يَغـْتالُ أحلى بَصيصِ عنادٍ بنا

يَوْمَ كانَ المُغَنّي أَصَمـّا

وَكانَ الزّمانُ طَرِيـّاً

كَتـُفّاحَةٍ يَنـْخَرُ الصبرُ فيها

تـَأَمـّلْ بَقاياكَ فينا

قَصائِدَ مُكـْتَـظـّةً بالطفولةِ

والأُمْنِياتِ الخَبـِيئَةِ

أَضْرِحةً للقصاصاتِ

والشّـُبـُهاتِ

وَبَعْضَ التصاويرِ والحُـزنِ

بـَعْضَ الرّماد

وَبـَعْضَ العِناد

وَبـَعْضَ الرّماد

وَيَهْدِرُ في قَلـْبِكَ الطّفلُ

عِشْقُ الشّمُوسِ الّتي لا تـُنالْ

* * *

عرسُ السمّ

هه ورامان

(الى "برستو" الحبيبة ظبية الشهيدة "حلبجة")

بينَ نوروزَ والنبعِ

يجتاحُ روحي صهيلُ الدموع

وأجراسُها المُستثارة تضربُ

تَنْقَضّ

يَنثالُ في وقعِها الجمرُ

كُنّا بعريِ الطفولةِ والخوفِ

نركضُ بين الشجيرات

كانتْ طيورُ الأبابيلِ تُمْطِرُنا بالسّموم

وبينَ البنفسجِ والماءِ

كُنّا صغاراً نموتُ

صغاراً نموتُ

صغارا

الربيعُ يُداري وجومَ القصيدةِ

والنسغُ يختلّ في نزواتي

ليَكسِرَ قارورةَ الانتظار

يُريقُ اضطرابي

وفي سبخةِ الحزنِ

غاصتْ عروقي

وغاضتْ بروقي

وأدركتُ ما كنتُ إلاّ رذاذاً

هَطَلْتُ على عاقرِ الرملِ

مستكثراً رعشةَ الحبّ فيّ

لكنّ عقمُ الليالي إسْتقاني

وألفيتُ بينَ الرمالِ

اندفاقي زريّا

وسيّانَ عندَ النكوصِ اقتناصُ النجومِ

ونبشُ القبورِ

فما عدتُ شيّا

ولا عدتِ لي

في سماءِ المدينةِ

تتثالُ دوامةُ الغيمِ

في شعلةِ الإزدِهاءِ الذي قاربَ الاكتمال

وفي عرسِ نشوتِها المستحيلةِ

أرقبُ سرّ تطاولِها شعلةً رَفَعَتْ جسدي

منْ مَصافِ البراءةِ

حتّى سدومِ التألّهِ

حتى تخومِ الفناء

إنّما العرسُ لنْ يكتملْ

إذْ طيورُ الأبابيلِ تُمطرُنا بالسّمومِ الشّذيّة

بينَ الدموعِ وبينِ اللذاذةِ

بينَ البنفسجِ والآسِ

كُنّا بِعُرْيِ الطفولةِ والخوفِ

نركضُ

ننكبُّ

ننهضُ

تنقضّ صفراءَ ترشقُنا بالطراوةِ والعبقِ

يمتدّ رتلٌ فقيرٌ جديدٌ من المرمرِ المتكبّرِ بينَ القبور

* * *

قطوف الروح

غَضا القصائدِ
يَنْسابُ غَضّاً
كأنّ ضحكةَ طفلٍ
تَـفوحُ بضوءِ القمرْ
وَيَنْـبَجِسُ الحلــْمُ غابَةَ عِطـْرٍ
لِطَـيْـفٍ بـِسِحْرِ الخَطيئةِ
يشربُ من حلمةِ الجرحِ
يلثَـغُ بالشهواتِ قُبَـيْـل الصّلاةِ
ليَـنْـقُضَ فينا وضوءَ البراءَةِ
يَبـْتـَزّ تلكَ الزّوايا الخبيئةَ
في ظُـلـْمَةِ الحلمِ
كالطّائرِ المُتَخابِثِ يقـْفِزُ متّـاقلاً
كالمَهِيضِ الجَناحِ
ويلهو بخوفي عليهِ
وخوفيَ مِنْ أنْ يـُصادَ
وخوفيَ ألاّ أَنال المرادْ

* * *

برستو

إذا مَرّتْ مُعَذّبَتي

تَميلُ الأرضُ منْ طـَرَبٍ

يَشبّ بها

الى طـَرَبِ

كأنّ طفولةَ الدّنيا بِها

وَلـَها

فتَتمْلأَني

على حُبّي لـَها

وَلـَها

وَيَصْرَعُنِي تَمايُلُها

كرُوحِ الرّاح

سَكْرى

بِالهَوى العَذبِ

إذا ضَحِكَتْ

يَمُوجُ اللّحنُ شلاّلاً

وَتَرْقُصُ شِبْهَ عصفورٍ رَأى شَرَكاً

وَأَرْقُصُ مثلَ مَذْبوحٍ

مِنَ الوَصَبِ

يَطيرُ القَلبُ ضَمْآناً

يُوافيها بِأكْوابٍ مُشَعْشَعَةٍ

تَفيضُ بِأَعْذَبِ الشّرُبِ

وَيُؤْتي النّخلُ نَشْواناً

أَطايِبَهُ

ثُرَيّاتِ بِها سكرانةً جَذْلى

كأنّ الخُلدَ فِي فِيها

وَفِيها

مُنْتَهى الإِرَبِ

وَمِنْ نَفْسي

لَها نَفْسي

* * *

جنونُ الماء

مُشتمِلاً رَعشاتِ الموتِ أمدّدُ ذاكرتي

محبوساً في وجعِ الماءْ

أركضُ بين تلافيفِ الوطنِ المحروق

فيلطمُ وجهي جسدٌ طافَ غريقاً

بين الماء وحبّ الماءِ

يا منْ شفتاها الماءْ

شقّي تابوتَ ضلوعي يتدفّقُ نهرٌ

يغسلُ بالماءِ الماءَ

ليرجعَ وجهُ البحرِ نقيّا

ونعودُ لنفهمَ سرّ الماءِ منَ الماءْ

ظلّ الماءُ في الظلماءِ

ظلاً يكتبُ الأسماءَ

في تكوينهِ السرّيّ

يَمحونا ويَكتبُنا

ويَقتلُنا حنينُ الأرضِ

يكوينا سَعيرُ الماءْ

يا ذا الماءِ

إنّي أحملُ الأكوانَ في قلبي

ولكنّي

رأيتُ النورَ في أسرارِك الأولى

قرأتُ السرّ في أنوارِك الأولى

وبين السرّ والسرّاء

أسْري في سكونِ الكون

كانَ الماءُ عافيَتي

وكانَ الماءُ قافيَتي

كانَ الماءُ مَرْساتي وساريَتي

وكانَ الماءُ شرياناً

يغذّي الحُزنَ في لُغتي

فصارَ الماءُ سِكّيناً

تَشُقُّ الآنَ حنجرتي

وزهرُ العمرِ أذبلَهُ عذابُ الماءْ

عواءُ الموتِ يزدردُ الدروبَ

كأنّه أنثى

تغالبُنا

ولا نقوى

ولكنّا

نحبّ نراك

مثلَ الماءْ

* * *

ربيعُ الفؤوسْ

هكذا

لا كـَما نشتهي

واحداً ... واحداً

يأكلُ الموتُ أحلامَنا

ثمّ نصبحُ ارجوزةً في نواحِ النساء

نشوةٌ لا قرارَ لها تعتلي جسدي

والرّصاصُ البذيءُ يطاردُ أشلاءَنا في تخومِ التوهّم

أجمعُ كلّ احتراقاتِ روحي لأسخرَ

مُكتحلاً بالنبوءةِ

من حُلْمِنا المتقادمِ بالإكتمال

أتيتُك

لا تسْأليني عن الوجعِ المتقاطرِ من شفتي

بلْ خُذي بِيدي

كالنجومِ التي انْطفأتْ في عيوني

وكُوني البلادَ التي أشْتهي

جَمَعتُ لعينيكِ قلبي

وأفشيتُ كلَ جروحي

رجوتُكِ نجماً

لكنْ طاوعتِ عواءَ اللّيل

مزّقْتِ شراعي وأنينُ النخلِ تبرعمَ

في مدنٍ يتسلّق فيها الموتُ نوافذَ احلامي

وجدتُكَ كالماءِ

تحرّقْتَ لدفءِ الرملِ

ولكن

ما كِدتُ عرفتُك حتّى خرجتْ عن لُغتي

لُغتي

إخطُ على روحي وتمهّلْ

أسمعُ رائحةَ الماءِ تَشي بِخُطاك

وطعمُ الحزنِ الخاثرِ يطفحُ في كأسي

ما جئتُك أحملُ إلاّك

فكيفَ تراودني عنك

كنتُ أريدكِ ساريةً لسفينةِ عشقي

ورياحاً تملأُ أشرعتي

فلماذا مَزّقْتِ شِراعي

يا امْرأةً وَأَدَتْ فَرحي

طُوفانُ اللّيلِ أحاطَ دمي

وأنا وحدي

فَلِمَنْ أُسْنِدُ ظهْري؟

في ربيعِ الفؤوسْ

هكذا

ننتهي

هكذا

واحداً... واحداً

آهةً في نواحِ الكؤوس

واحداً

واحدا ....

* * *

أُرجوحَةُ الضائعين

تَنـوسُ شموعي الضئيلةُ في هذهِ الظلمةٍ المدلهمّةِ

إذْ يرقصونَ على جثّتي في زفافي الأخير

أنا الآنَ أرقدُ في كفني المُرّ مُشّائماً

مُترعَ الرّوحِ بالموتِ

بالأغنياتِ الحبيسةِ

لكنّهم يرقصونْ

وأنْهضُ منْ جسدي

أَتَسرْبِلُ وحْلَ التَغرّبِ بحثاً عنِ النّسغِ

ها مُشرعٌ قلبيَ الآنَ بينَ الحِرابِ

وبين الخَراب

وأحْتارُ أختارُ أيَّ المدائنِ

أيَّ القفارِ أُوسّدُ روحي

وأحْتارُ أختارُ أيَّ المرافِي لقارِبِ حُزني

وهُمْ يرقصونْ

مُثقلٌ بالطمى جئتُ

ما عاقرٌ جَسَدي

إنّما عادةُ البحرِ يهدرُ متّئداً

هازِئاً

ثمّ يَطغي ليَغسلَ عن شَفَتَيهِ المسافاتِ

والزَبَدَ المرّ

لكنّه زمنُ العقمِ إذ تَزْدري البَحرَ أمواجُـهُ

والفوانيسُ واهنةٌ

واهنٌ دمّ هذا الغريبِ الذي تستحلُّ المدينةُ أشلاءَه

أيّها النبعُ خذني إليكَ

اسْتَعِذْنِي

فمِنْ بينِ كلّ الأزاهيرِ أورقتُ دفلى

كتبتُ الأغاريدَ منْ كلّ لونٍ

وفي عاصفِ الرّيح عرّيتُ روحي

تضمّخْتُ بالعشقِ

فانقشعَ الوَهْمُ عَنْ مُقلتِيْ

بينَ خوفي وحتفي

تعلّمتُ انّ القصائدَ أرجوحةَ الضائعين

وها أنذا

واقفٌ

منذُ بدءِ الخليقةِ أنتظرُ الإنهمارَ الجديدَ

بحزنِ النوارسِ سوّرتُ روحي وحصّنتُ أبوابَها

منذُ دهرٍ أشدّ قلوعيَ

مُنتظراً مَوعدَ الربّ

أو مَوعدَ الماءِ

أو مَوعدَ العشقِ

إنّي انتظرتُكِ أيّتُها الخفقةُ الوعدُ في عمرِ قلبي

عشيّة أرسيتُ قاربَ عزمي على شفةِ المستحيلْ

تمرّغتُ بالإثمِ قبلَ الخليقةِ

لكنّ عيناكِ يا نورسَ الرّوحِ أسرَجَتا أرَقي

ثمّ غامرَتا باكتساحِ دمي البربريّ

وتومضُ بُقيْا شموعي الضئيلةِ في هذهِ الظّلمةِ المدلهمّةِ

منْ لِي بِمَنْ يُصْلِحُ الآنَ بيني

وبينَ الذي فيّ

يغتالُ أفراحَ روحي

وما النفعُ في أنْ أُحبّكِ

أو لا أحبّك

فلتستبيحي جراحي ونامي

يا امْرأتي

نامي

نامي

بكراً جِئتُكِ لمْ تَعرِفْ مِثلي امرأةٌ

مَخذولاً

أعْرفُ أنّك آخرَ فرعٍ في غابةِ حزني

أعرفُ أوْجاعي تهدمُ أحلامَ التعساءِ بفجرٍ أحلى

قد لا يأتي أبداً

لكنّ العامَ الفائتَ فاتْ

والآتي جاءْ

الليلُ يمزّقُ أوردتي يتعقّبُ فيها أثرَ الماءْ

وهذا العالمُ أعمى

يبحثُ في ظلمتِهِ الأزليّةِ عن معنى الأشياءْ

فنامي

وَحْدي مزّقْتُ قميصي

ما عرّاني الجندُ

ولكنْ

جلدي ضاقَ عليّ

وبينَ ذئابِ الأرضِ تشرّدْتُ بِعُرْيي

ورجعتُ ليوغلَ هذا المعولُ في الرّوحِ خرابا

وأنا أتفجرُ فيكِ براكينَ مراهقةٍ عمياء

فنامي

نامي

نامي

* * *

حدائق الدهشة

شعاعٌ حزينْ

يَنْسَلُّ من عينيك

يُعيثُ خراباً في روحي

عاصفةٌ روحي

وعاصفةٌ بروحي

وهذا المركبُ العتيقْ

هذا الوطنُ الماخورْ

أكـَلَ شَرْخَ شَبابي وزهرةَ عمري

أيُّها المركبُ العتيقْ

يا سَفْحَ سِيزيفْ

إليكَ عنّي

علّمتـُكَ طعمَ اللهفةِ

لكنْ

أَطْفأَني عُقمُك

وسَئِمْتُ الاسْتمناءَ العاقرَ في دِهليزِ القلقِ المُتوقّز

يا هودجَ عَذاباتي

وقنديلَ أَرَقي

يا صخرةَ انتحاري

ومخرزَ روحي

حزنان نحنُ لا يلتقيانْ

أنا

سقوطي الى الأعلى

وأنتِ

كالأحجار

وكجثّتي العاقرة

تشدّك الارض أبداً مكبلةً روحَك

أعرفُ أنّكِ لستِ لِي

وأني لنْ أمْتَـلِكَـكِ أبدا

لكنّي

رَغْمي

اعتدتُكِ

كالحزنِ

سريعاً

تَعالي

دَعِي خُفّيْكِ جانباً

لتقبّل الارضُ عُريَ قَدَمَيك

لا تُحدّقِي في عَيْنَيّ

هُما مَعقِلا آلهةِ الشرّ

أَطْفِئي المصباح

فأنا أكرهُ الضوءَ المعـّلبْ

وشيطانُ قلبِي يعرفُ أينَك دونَ هذا الدليلِ الرديءْ

كأعاصيرِ الثّلجِ اكْتَسحِيني

وصُدّي جموحَ التفسّخِ في جَسَدي

فَمِنْ بينَ كلِّ النساءِ اللّواتي أحْببتُ

لا أدْري

لماذا كانتْ عيناكِ هما الأكثرَ إيغالاً فيَّ

ولِماذا أعْرفُ مَسالِكَهُما

كما يعرفُ المخمورُ طريقَ بيتِهِ

في ظلمةِ الأزقّةِ النائمةْ

وهذه النخلةُ العتيقةُ

قلبي

سافرتْ كثيراً

ورأتْ كثيرا

لكنّكِ انقضضتِ عليها كالصاعقة

وخضّبتِ شفقي باللهيبْ

راكداً كنتُ

والطحالبُ تقتاتـُني

فعلامَ تعجّلتِ ايقاظَ روحي ...!

في الثلثِ الثالثِ من آذار

اكْتَحَلتْ بالإشراقِ الأوّلِ للرؤْيا رُوحي

وأفقتُ

غَزَلْتُ عروقَ القلبِ شِراعا

ونذرتُ دمي

للسّفنِ المشرعةِ الصدرِ للُقْيا الآتي

والآنَ

إكتملتْ أغنيةُ العشقِ

إكتملَ العشقُ

فأوقدتُ قناديلَ العمرِ لعينيكِ

وأسرجتُ لنكءِ الشمسِ جراحاتي

واللّيلةَ

أدركتُ الرؤْيا الأولى

فلعذرٍ آخرَ غير الحزنِ

ولدتُ على كفّيكِ غريباً

وأموتُ غريبا

حملتْني صاعقةُ الخلق السرّيّةُ في رحمِ الكونِ

كآخرِ عنقودٍ في عَذِقِ العِشقِ الصوفيُّ

وُلِدْتُ

كانَ الطاعونُ القادمُ من صحراءِ الليلِ العُقمِ العربيّةِ يأكُلُ عالـَمَكُمْ

ويُوسّخَ أحلى الأعْيادِ

بأشْلاءِ الفَرَحِ المَذْبوحِ

وعطرِ الليمونِ المسبيّ

وضحكِ يَتامى الحَرب

خَفتَتْ روحي

وتَدَلّيتُ كأَوّلِ شارةِ ضَوْءٍ لقّحَها الحُزنُ

كانَ المطرُ اليابسُ في آب اسْتَنْبَتَ آلافَ الحَدْقاتِ لَها

أبْصَرْتُ الحَقَّ

وجِئتُ بهذا القمرِ المارقِ يعبرُ في ضَوْضاءِ الظلمةِ عالمَكُم

قلبي

لِنُراوِدَكُم عنْ ظُلْـمَتِكمْ

حَمَلَتْـني صاعِقةُ الخَلقِ الأزليّةُ في رحمِ الكَوْنِ

كآخِرِ لُؤْلُؤةٍ في عِقدِ السِرّ

وُلِدْتُ

ومُقْبلَ كلِّ الأشياءِ رأيتُ

فتوّجَني العِشْقُ إلهاً مَخْبولا

تَحيا الوَتَريّاتُ العرسَ الأوّلَ للرؤْيا في قلبي

يَنهمرُ الشِعرُ على شَفَتَيَّ

وحلوُ عناقيدِ الموسيقى

واللّيلَةَ

يا قَمَراً يُرمِضُ لَيلي

يا هَوْدَجَ عِرْسٍ يَنْثالُ على شفتيهِ الزنْبقُ

والمَرجانُ

اللّيلةَ

أرْقصُ بينَ يَدَيْكِ

كما قَيْصرُ بينَ الأنْصالِ

ها قَدْ تَضَمَّختُ عِبْقَ الخُزامى قُبَيـْلَ انْتهائِي وأرْقُصُ

أَرْقُصُ

أَرْقُصُ

فانْهَمِرِي أيّتها الوِرْدةُ النّصْلُ في رِئَتِيْ حِمَماً

أو قَصائِدَ

لا فَرْقَ عِنْدِي

فما بَيْنَ عَيْنَيْكِ بَيْتي

وما بَيْنَ عَيْنَيْكِ

مَوْتِي

مرّتين انْصَلَبْتُ

تَوَضَّأْتُ بالضّوءِ مثلَ الفَراشاتِ قَبْلَ انطِفائِي

صَهيلُ الترقّبِ يـلْهبُ رُوحي

وساوَمَنِي القَتـْلُ عن لُغَتِي البابليّةِ

لكنّنِي النّهرُ

أرتدُّ نبعاً

وأوْشِكُ أَخْتارُ ما بَيْنَ عَيْنَيْكِ

والمَوتِ

دَرْبا

ثلاثونَ متـالياتٌ تَصَرّمنَ

والقَلبُ بَيْتٌ لِكُلّ الطيورِ

وأذْكى الخمورِ

وأحلى النساءْ

فأيُّ الخَناجِرِ لا تزْدَرِيها جِراحِيْ

وأيُّ القَصائدِ تُغْنِي دَمِي عن لُهاثِكِ في رِئَتِيْ

لماذا انْتَظَرتُكِ كالفرحِ المستحيلْ...

حَمَلَتْنِي صاعِقَةُ الخَلْقِ

كآخِرِ رَعشةِ حُبٍّ في رَحمِ البَحرِ قُبيلَ الطُوفان

اجْتَمَعَتْ كُلّ الأقراشِ على قَتـْلِي

آخِرُ وَعْدٍ بالفَرَحِ المُقْبِلِ

جِئْتُ

وَهذي كُلّ كِلابِ الصّيْدِ المَخْصِيّةِ

تَرْصُدُ خَطـْوِي

فَتَشَرْدْتُ أجُوبُ الأرْضَ

طَرَقْتُ دروبَ جِياعِ الدولِ الصُغْرى

والدولِ الكُبرى

والجُزُرِ المَسْكونَةِ بِالجِنّ

وبالغيْلانِ

فَلَمْ أَلْـقَ سِوى جُثَثٍ

والصّمْتْ

وَطَيْفِ المَوْتْ

يَطوفُ البَيتْ

ويَذْبَحَ أحْلى الأزْهار

فأيْنَ أُولِّي .....

أيْنَ أُولِّي وَجْهِي

أتَشَهّى صَـحْراءً تَتَلَـظّى

لكنْ

لا يُذْبَحُ فيها الإنْسانُ

وأحْلامُ الانسانِ

فدى مَوْلاي المُستَحْلمِ باللهِ

ومَوْلاي الفاتِكِ بالله

لقدْ طَفَحَ الكيْلُ

وكُلّ خَرابِ الحَربِ اخْضَوْضَرَ حِرْشَ عِنادٍ فِيَّ

تَفَجَّرَ في الظُلمَةِ شَلاّلَ ضِياءٍ

أمْطَرَ كُلّ بِقاعِ الحُبّ بِروحِي

وَضَعَتْنِي أُمّي آخِرَ وَغْدٍ في رَحمِ الكوْنِ

فَخرّوا في حَضْرة رَبِّ الأرْبابِ سِجُوداً

يا جثَثاً

ماتَتْ بَيْنَ القتلِ

وخَوْفِ القَتْلِ

وما تَدْرِي

خرّوا في حَضْرةِ ربِّ الأربابِ سجوداً

خَرَّ الكُلُّ سجودا

وَمَدَدْتُ يَدِيْ أَتَلمّسُ في الظّلمَةِ

كانَ وَحيداً يَندُبُ عَيْنيهِ الطافِحَتَيْنِ بِشَرِّ الأزْمانِ جَمِيعا

فَوَقَفْتُ على الأولمبِ تَجِيشُ اللّوعةُ في صَدْري:

وَلَدِي

يا وَلَدِي

أوديبْ

ضائِعٌ أنتَ مِثْلِي

فَكِلانا خَرَقَتْ أَعْيُنُه حُجُبَ الرُؤْيا

لكِنّ سِياخَ الرُؤْيا فَقَأَتْ أعْيُنَنَـا

يا أوديبْ

ها رأْسُكَ

رأْسِي

يَتَدَحْرجُ مِنْ أرْضِ اليُونانِ

الى صَحراءِ الطَفّ

الى عاصمةِ الزِنْجِ

الى بَغدادَ

ويَجْمَعُ كُلّ نَشازاتِ التاريخْ

رَأْسٌ لا جَذْرَ لَهُ

أبْحَثُ عنْ جَسَدِي

حائِراً

ضَجِراً

تَعِباً

والخَلائِقٌ تهْذي تَفاهاتِها

إنَّها خُدْعَةُ الحُلْمِ

لا غَيْرَ

فاسْتَيْقِظوا ....

إنَّها خُدْعَةُ الحُلْمِ

فَالخَلْقُ ما زالَ في رَحْمِ فِكري جَنينا

ولا زالَ رَبُّـكُم الفَرْدُ يَرعى عَلى رِئَتَيَّ

صنُوفَ الرذائلِ والإثْمْ

في هذهِ اللحْظةِ الأزَليةِ منْ عُمْرِ حُزني

سأفْضَحُ

سِرّ الخليقةِ

فاسْتَمِعُوا قِصّة الكوْن...

على صَحراءِ الطَفِّ

اقْتَرَنَتْ قافلتانِ منَ الغيمِ الغَيْبيّ

بإعْصارِ بَراكينِ اللاّهوتِ

فأزْهَرَ بَرْقٌ

يَحْمِلُ في عَينيهِ العَطشَ الاسْطوريّ المَوروثَ من الأزمانِ جَميعا

وحَطَطْتُ على صَدرِ الأرضِ

كطيرٍ لا بيتَ لهُ

آلافُ زُهيراتِ الضَوءِ تُشَعْشِعُ في كَفّيْ

وعَناقِيدُ نجومٍ عَذراءَ

تَحوكُ جَدائلَ وَحْشتيَ الأزليّةِ

كانَ الحُزنُ يعشّشُ في كلِّ نوافذِ روحي

لِجَهنمَ شُباكان على قلبي

وعلى بابِ الصَحراءِ

سَكرْتُ

بِكأسِ الوِحدةِ

وَحْدي

وتأمّلتُ الرّبَّ وقدْ أزْغبَ خَدّاهُ الخَجِلان

كانَ وَحِيدَ أبِيهِ

فَشغّلَهُ عندِي

يَجْمعُنِي من باراتِ الحمّالينَ قُبيلَ صَلاةِ الفجرِ

صَرَخْتُ بِهِ:

إخْلِقْ لأرَ...!

فَارْتَعَشَتْ في صِدْغَيْهِ مَخاوِفُ شَتّى

وَتَمَطّى

واسْتَأذَنَ

قلتُ: إبْدأْ...!

بَصَقَ الرَبّ بِكفّيْهِ مِراراً

وَاخْتارَ الطِينَ لِيَصْنَعَ مِنهُ قرُوداً

طِبْقَ الأَصْلِ على صُورتِهِ

فَضَحكْتُ عَليكمْ.

قالَ: خَلَـقْتُ...

تَفَضّلْ يا مَولاي انظرْ...

صَرَفْتُ الرَبَّ الى البَيْتِ

تَعَوّذْتُ الشَيْطانَ ثَلاثاً

وَنَزَلْتُ الأرْضَ أُقامرُ في دنياكُمْ

يا مَخْلوقاتِ التِلميذِ الأوّلِ في مَمْلَكَـتيْ

قامَرْتُ على قَلبي

فَخَسِئْتُمْ مِنْ غَشّاشِين

لقدْ خلَقَ الرَبّ مِنَ الطِينِ عيوناً ونهوداً

أَنْسَتـْنِي دَرْبَ المَلَـكوتِ الأعلى

فَبَقيتُ على الأرضِ....

واللّيلةَ

لمْ يَبْقَ سِوى أن أجْمَعَ بَعْضَ صَعاليكِ الأرضِ

لِنَهْدمَ سُلْطانَ الرَبِّ ...

نُعَرّيهِ مِنَ الحُكْمِ المُطلَقْ

وَعلى بابِ الغَيْبُوبَةِ

قبلَ الصَحوِ

نُعَلّقُهُ مِنْ أطرافِ عَجيزتِهِ

أما أنتمْ...

فَتَعُودونَ الى الطِينِ

* * *

المَوتُ مَعْشُوقي

أيّها النورسُ المنفلتُ في عتمةِ الشَفَقْ

أيّها الجَمِيل المُتوسّدُ نِثار أوْهامِي

إذْنُ مِنّي

قِفْ قَليلاً على أفْرُعِ صَفْصافَتي اليابِسةْ

لأَتَنَفّسَ في عَبيرِك طعمَ الحياةِ التي غَرُبَتْ من دمي

قِفْ قليلاً

ولْتَكُنْ وليمتُكَ مِنْ أضْلُعِي

عَلّها تَحْيا ثانيةً في دَمِكَ الفتيّ

قِفْ قليلاً

واحْلمْ بِفَرَحٍ ما

أوْ بِنَشْوةٍ

أكونُ سبَبَها

قِفْ قليلاً

وابْنِ عشَّك في جَنَباتِي

علَّ أحْطابَ قَلبي تَصيرُ مأْوى فراخِكَ وحِجْرها الدافئْ

للمرّةِ الأخيرةِ قبلَ أنْ تَتَفَحّمْ

قِفْ قليلاً

وَقَبْلَ أنْ تُحَلّقَ في أجْوازِ الغَسَقْ

خُذْ مَعَكَ هذِهِ القُرُنْفُلة

هذِهِ القُرُنْفُلةُ البَيْضاءْ

هذِهِ القُرُنْفُلةُ البَيْضاءُ الذاويةْ

هذِهِ القُرُنْفُلة البَيْضاءُ الذاويَةُ التِي كانتْ رمزَ حُبّي

أيُّها النَورَسُ المُتلفّع تُوَيجاتِ المَجهولْ

أيُّها النقيُّ كَخَوْفِي

الناصعُ كَرَغْبَتِي بالمَوْتْ

الجَميلُ كما لَمْ أَكُ يوماً

خُذْ مَعَكَ قُرُنْفُلَتِي البَيْضاءَ الذاويَةْ

فَلَمْ أعُدْ قادِراً على مَنْحِها الحَياةْ

خُذْ مَعَكَ رَمْزَ حُبّي

فَقَلْبِي لا رَواءَ فيهْ

وَحَبيبتِي عَطشى

خُذْ مَعَكَ آخرَ تِذْكاراتِ رُوحي

أخافُ يا نَورسِيْ الجَمِيلْ

أنْ تَذْوِي قُرُنـْفُلَتِي بَينَ أَحْضانِي

وَيَعْرِفُ الأَقْزامُ انّ حُلمِي ما ذَهَبَ بعيداً

وأنّهُ ماتَ مَعِي

أخافُ يا نَوْرَسِي الجَمِيل

أنْ تكونَ أُغْنِيَتِي الأخيرةُ ضاعتْ

وَلَمْ يَسْمَعْها أَحَدْ

آهٍ يا نَوْرسِي الجَميلْ

أَلَسْتَ إلاّ قُرُنـْفُلَتِي الخابِيةْ

ألستَ إلاّ قلبيَ اليابِسْ!

أَيُّها السابحُ في دَمِيْ

والمُحَلّق في أُفُقِي أَبَداً

قُرُنـفُلَةٌ بيضاءُ أقْصى حُلمِي وماتَتْ مَعِي

قُرُنـفُلَةٌ ذابِلَة

وَقَلبٌ يَتلهّفُ للإمْساكِ بآخرِ نَبْضاتِهْ

كَمُسافرٍ يَخْشى أنْ يَفُوتَهُ مَرْكَبٌ يُبْحِرُ الى المُستحيلْ

فاتَـهُ أنْ يُودّعَ أمّهْ

أَيُّها الذابلُ في ضِلوعِي

نَسَيْتُ أُقَبـّلُ أُمّي قبلَ أنْ أَمْخَرَ مَمْلَـكَـةَ مَوْتِي

نَسَيْتُ أَقُولُ لَها وَداعا!

قُرُنـفُلَةٌ بيضاءُ بيضاءُ أَقْصى حُلمِي

مَنْ يَقْرَبُها لا يَجْني سِوى السَعِيرْ

مَنْ يَراها لا يَمْضِي قَبْلَ أَنْ يُكَـبّلَ أَنْفاسَه بأظفارِ عبيرِها

قُرُنـفُلَةٌ وحِيدةٌ فيها سرُّ عَذابِي

وما خِفْتُ إلاّ عَلَيْها

عِطْرُها من نارْ

وأَنا

غَمَسْتُ قَلْبِي فِيهْ

مَنْ قالَ أَقاليمَ المَوتِ شاسعةً

وَبواديهِ بِلا حصرْ!

أنا لَمْ أَجِدْ فِيها مُتّسَعاً لِقَدَمِيْ

فَرَجعْت!

* * *

حَنِين

أَحِنُّ الى حَفْنَةٍ مِنْ تُرابٍ

أُوَسِّدُ رأْسِي عَلَيْها

وأغْفو

لأَحْلُمَ بالإقحوانِ الذي يَزْدَهِي فوقَ قَبْرِي

وبالنَرجِسِ المُتَفتِّقِ من جَسَدي

يَتَجذّرُ بينَ الضلوعِ التي عَشقَتْ كُلَّ ما تَسْتَطيعُ

وأَغْمَدَ فيها المِدى

كُلُّ مَنْ يَسْتَطِيعْ

أَحِنُّ الى زَوْرَقٍ من ضَبابٍ يُغلّفُ رُوحي

لِيُغرقَها في مُحيطِ التلاشِي

لِينْبَعَ من سُرَّتِي سلسبيلٌ حَوى كلَّ طيبِ الفُراتِ

وكلَّ اشتهاءِ الحياةِ

وكلَّ انكسارِ اليَتامى

أَحِنُّ الى مَرْمَرِ القبرِ مثل حَنِينِي لأُمّي

بكلِّ اشْتياقِ الطيورِ لأعْشاشِها

أيُّها الليلُ

إني أَحِنُّ إليكَ لِتَكْتُمَ أسْرارَ رُوحي

وتَفْرشَ بالأنْجُمِ الخابِياتِ جِرُوحِي التي فَغَرَ القَهْرُ أشْداقَها

فَلْتجِيء أيُّها المنقذُ الفّردُ

يا مُنْقِذي الفردُ

يا مُنْقِذي الفردُ

يا مُنْقِذي

كلُّ هذي الجِراحاتِ في مَحْضِ قلبٍ!

ذَليلاً أُطأْطِئ رأْسِي

فَمَوْتي خلاصٌ لِهذا الذي أسْرجَ العُمْرَ قافلةً من شموعٍ لعشقِ الأحبَّةِ

لكنَّهُ ضاعَ في غَيْمةٍ

مِنْ هَباء.

* * *

أرقي

وشيء فيك

أُسَمّرُ أَخْشابَ هذي السَفينةِ بالمُشْتَهى
خطوةً
خطوةً
أَسْبرُ الماءَ
أَسْبرُ نَفْسي
وأَسْبِرُ نَبْضَ المُحيط!

لِعَيْنيكِ أَسْهرُ

أَسْكَـرُ

أَمْتدُّ في كلِّ صَوْبٍ

أُغَنّيكِ

أَخْضَلُّ بالعِشقِ

أُوْرِقُ جَيْشاً من الصَبَوات

وها واقِفٌ عندَ عَيْنَيكِ مُسْتَفْرداً

أَعْزلا

فالقناديلُ واهِنَةٌ

والفَناءُ اللّذيذُ يُداعبُ أشْلاءَها الخابياتْ

أنا مُفعَمٌ بالينابِيعِ

لكنّ ماءَ العُمى انْثالَ في حُلُمِي

هوَ هذا الغريبُ المُخضّب بالتعبِ الأزليّ أَنا

مِنْ مَلَفّاتِ كلِّ المَنافي تَجَمَّعْتُ باقةَ دفْلى

تَشَرّدْتُ ما بينَ هَمزةِ نَهْديْكِ

ضَيَّعْتُ وَجهَ البِلادِ التي غَرَّبَتْنِي

لِمَجْدِ العِيونِ التي لا تَنامْ

* * *

وابلُ الرَغَبات

أَسرابُ الليلِ تُحاصرُ قلبي
وترابُ الموتِ الزاحفِ من أحشاءِ العُقمِ
الى ظُلْمةِ أيّامي
ضَجِرٌ مِنْ وَحْشَةِ هذا العُمْر
فَزِعٌ من كابوسِ الرّملِ يُحاصِرُ نَبْعِي
يُرْبِكُني صَمْتُ الضَوْءِ تَواطأَ في حِضنِ العتمة

خائِفٌ

لوْ لُحْتِ لي

منْ رغبةِ القربِ التي تَملأُ نَفسي

حائِرٌ

أنّي أَرى في الكأسِ وجهين

ولا وجهَ لِرأْسي

ضَجِرٌ

منْ زَمْجَراتِ الريحِ في وَجْهِ السّواقِي

غاضِبٌ

كالربِّ من صُنعِ يَدَيّ

قارِعاً بالكأسِ كأْسِي

يا رَفيقاً يَنْفضُ الظُلمَةَ عنْ ظُلمَةِ رُوحي

بإسمِكِ اللّهمّ يا نفْسُ

أُصَلّي لِخَلاصِي

* * *

حُزْنُ الأجِنّة

نَسغُ البنفسجِ يَنبضُ

يَكتظُّ في الحُلُماتِ

ورَمْلُ المسافاتِ يمتدُّ

يَزهو أليفاً

وعطرُ الرمالِ ينزُّ

وعِبْقُ الخُزامى

يُبرعِم في ضجّةِ الضوءِ فينا

ومِنْ كلِّ جرحٍ بقلبِ الخليقةِ

يَنْزِفُ مائي

ورقصُ عَروسِي يَضُوع بشمع اللَيالي

ليُحرقَ في كلِّ عشقٍ بَقايا الحَذَرْ

نُعِيدُ لوجْهِ الزمانِ ابتسامَ الوَليدِ

الذي مِنْ هَوانا يُعيدُ لنَبْعِ المحبَّةِ

جِنْسَ البَشَرْ

كأنَّ المُحيطاتِ حُبلى يُراودُها الطَلْقُ

والرَحْمُ غضّاً رَحِيماً

يُواصِلُ حُزْنَ الأَجِنّةِ فِينا

* * *

رسالة الى الربّ

في ركامِ هذا المسرحِ العظيم
رجالٌ بمسوحِ الله
يسنّون خَناجرَ صَدِئة
للأجنّةِ والفراشات
جمهورٌ مرغمٌ على الحضور
بتذاكر زائفة
يعفطُ للممثّلين
ويكرّز باسطرما من لِحومِ الأطفال
في استراحاتِ الفصول

أوجاعٌ لا تُحصى

أشباحٌ تنمو

تتألّبُ بين أخاديدِ القلب

ثآليلُ تراوغُ بين صدوعِ الجدرانْ

خرابٌ لا يَجفو الروحَ

تُعاقرُها الحَسرة

أوْطانٌ خُذِلَتْ

مدنٌ ماتتْ

وشعوبٌ قُتِلتْ

أحْلامٌ هُزِمَتْ

أوْرادٌ أكلتْها النارْ

والخَوفُ يُضاجِعُ خوفاً لا يعرفُ مِنْ أينَ سيأتي...

فلِماذا يا ربُّ خَلقْتَ الإنسانَ

وجعلتَ البؤسَ له قدرا؟

ألا يُبْكيكَ بُكاءُ الأمِّ الثَّكلى

ونواحُ الطفلِ المحروم

وصراخُ المغتصبات

وخرابُ البلدانْ؟

ألأنّكَ تَخْشى مَنعَكَ من سَفَرٍ

فتظلُّ غريباً مِثلي تَبحثُ بين وجوهِ الغُرباءِ عن الأوطانْ؟

لماذا لا تنصُرُ يا رَبُّ سوى أعداءِ الإنسانْ؟

يا ربّ اغْضَبْ...

لنُصَدّقَ أنّك تقدرَ أنْ تفعلَها

وتحبّ الإنسانْ

* * *

نجيع وطن

بابلُ في أعراسِ القتلى
تأكُلُها الوحشةُ والصمت
تَجري من جَرَبِ الخَوْفِ الى جَرَبِي
تُسْبِل عُريَ الموتِ على عُرْيِي
في جَمْعٍ يَقتلُهُ الركضُ الى قَتْلي
ويموتُ إذا مُتّ
بابلُ في أحلامِ العشاقِ
مقابرْ

سلاماً
يا بلادَ الصمتِ والأوجاعِ
يا بلدي
سلاماً
يا ثَرى آشور
يا بوابةَ الدّنيا

سلاماً يا ذُرى القنديل

يا نخلَ السّماوةِ

يا فراتَ العشقِ

والبصرة

سلاماً

هذه الأرض التي ما أوْرثتـْنا

غيرَ حقّ الحزنِ

والحرمان

والحسرة

سلاماً

أيّها الأعرابُ

يا شَمماً بلا شِيمِ

ومرحى يا ذئابَ الموتِ

تطعمُ من شراييني

وتوغلُ في نجيعِ دمي

سلاماً

يا نبيّ الصبر

يا يعقوبْ

سلاماً

يا بلادَ الصمتِ والأوجاعِ

يا بلدي

سلاماً

يا بلادَ الكُرد والمعدان

من أورٍ

الى أكدِ

* * *

رِمـالِ

حملتْني الموجةُ سكيناً في خاصرةِ الأيـّام
أنوءُ بذاكرةِ الجُرحِ المُنقضّ على نَصْلِي

في أُتونِ الرّمـالِ

أجرُّ السفينةَ

خلَلَ دغْلِ الانتظارْ

كبدوٍ أعْمَت البسوسُ بصيـرتهُمْ

بـَواصِل عمياء ترصدُ في الخواء

مساربَ روحي

كسلحفاةٍ عجوز

تمدّ أشـرعةَ الفصول

لاقتناصِ شموس نائية

تكتظّ مشيمتُها هي أيضا بالبراغيث

* * *

هواجس

هازئاً من نَزَواتي

أخلعُ الماءَ عنْ عروشِ البحارْ

أكلّلُ بهِ جبهةَ الجبلْ

أوْ أبدّدُه في الغيومْ

عن ذُرى الغاباتِ أزيحُ الخُضرة

أُتْرِعُ بها جشعَ الربيعْ

ومنَ الشتاءِ أنتزِعُ الشمسَ

أسْجنُها في الصحارى

ومِنْ حَماقتي

أُريقُ قارورةَ الحُلْمِ في فمِ الذِكرياتْ

* * *

طريق الموت

حداءٌ لطوابير الجيش المكسور والمحرقة
البشرية وخراب العراق في أعقاب مغامرة
البعثيين في الكويت 1991

في جمالِ النشازاتِ
أضرِبُ
أبحثُ عن لحنيَ المتفرّدِ
والكونُ حلوٌ
عقيمٌ
كأوهامِ روحي

أنا متُّ من زمنٍ موغلٍ في التقادمِ
إنّما الحبُّ أوقظَني
إذْ مررتِ على بابِ قبري
فماجَ الهوى البابليُّ القديمْ
متُّ من زمنٍ
إنّما القهرُ خلّعَ أركانَ تابوتِ روحي

فقامَ الإلهُ حسيراً كسيرا

يمسّد شعرَ الثكالى بكفٍّ

ويجمعُ لحمَ الضحايا بأخرى

وما بينَ ثلمةِ رأسِ

وثلمة

يفتّتُ أضغاثَ صبحٍ جديدٍ

ويلهو برعبِ اليتامى على جانِبَيّ الحدود

متُّ من زمنٍ

إنّما الغيظُ أرّقني إذْ رأيتُك تبكينَ عجزاً

وأبكيكِ عجزا

فيحنو علينا الخراب

أنا متُّ

لكنَّ موتي

كحلمي

عقيم

* * *

يعقوب

يعقوبُ ويوسف
الذئبُ وأخوتُه
وأصابعُها تتلمُ وجهَ السكّين
كلٌّ أغْمَدَ في القلبِ براثنَهُ
واكتَمَلَ الطينْ

متأرجِحاً بين المنيّةِ وانتظاري
يعقوبُ يمسحُ جَبْهتي
بأصابعٍ تَحثُو الغُبارَ على الغُبارِ
متلألئاً كالماءِ يختطفُ البروقَ
ويكتبُ الأنواءَ في وَجَعِ السنابلْ

يعقوبُ يا طينَ الفراتِ
يسيلُ عِبْقاً في الخراب
من نخلةٍ يَعْدو الفِراقُ على مفاصِلِها
ونسغِ الناسِ فيها

ويفورُ في جُمّارِها المعجونِ بالعَرَقِ الأُجاجِ
يمورُ في كأسٍ من الخوصِ الموشّى بالشروق

يعقوبُ يا رملَ الخليقةِ بَدّدتْهُ يدُ الخرابِ
على صَحارى من ظلام
قمراً تعفّرُهُ الفجيعةُ هائماً جزعاً
يميطُ الضحكَ عن أوجاعِ بابلْ
يا وحشةَ الأطفالِ في تِيهٍ تُوشّيهِ القنابلْ

يا وجهَ أُمّي بينَ ماءِ الليلِ والأسحارِ
يصدحُ بالزغاريدِ التي ترتدُّ في نَحْرِي
وتُورِقُ في العروقِ
يعقوبُ يلهو في الظهيرةِ
في شموسٍ من عذابْ
وأظافرُ الرمّانِ تكتبُ في محاجِرِهِ
عناقيدَ السَرابْ

* * *

بكاء الينابيع

كانَ دمعُ البحارِ يَخبّ على شفتيّ

وأعرفُ أينَ مكان المكانِ وسرّ الخلائـق

أعرفُ أنّكِ بينَ المخاوفِ والحلم

تسّاقطين على سبخة القلب

رطباً جنيّا

وما كان مجدُ القصائدِ إلا عصا

أهشّ بها عن عمائي ذبابَ الزمان

ما كنتُ إلا فم البحر

يضحك من زمجرات الصواعق

كنتُ اللآلئ تشربُ سرّ المحيطات

والشمسُ

والأنجمُ المارقاتُ

يفئنَ الى دفـءِ حِجْري

وكانتْ سمائي مرايا

ولا شيءَ إلّاك فيها

* * *

رَذاذ

يا أيّها المسافرُ العتيقُ
في سفائنِ الضجرْ
قد سافرَ المكانْ
وأنتَ في خرائبِ الزمانِ
في خرائبِ الزمانِ ما تزالْ
تحلمُ بالنساءِ والسفرْ
عقاربُ الزمانِ
اذْ تدورُ في مكانِها
تفرُّ من عناكبِ المكان
وأنتَ في شباكِها
تطاولتْ عليكَ أذرعُ الخدرْ

صحوتُ هذا الصباح مثقل الرأس ببقايا التبغ وطعم العلقم في فمي وأشياء كثيرة لم أنجزها أمس وقد لا أستطيع أن أنجزها اليوم أيضا (كدت أقول لا أنجزها أبدا ثم سخرت من سخافتي).

كيف أواصل يومي وماذا سأقدم للحياة من مجموع ساعات هذا اليوم؟

أتلفت في المدرسة ما نسميه الطفولة والصبا وشرخ الشباب، وقرأت ملايين الصفحات في كل شيء وعن كل شيء وصلته يداي وأعجبت بالكثير وأحببت الكثير وكتبت الكثير ومزقت الكثير.

لكن نكهة الطبيعة الطرية والصدق العاري في نبرة هذه المرأة تأخذني الى مشاعر لم أستذكرها منذ سنين بعيدة.

كنا عصبة من طلاب البكالوريا نسهر في الحديقة العامة الصغيرة وسط ساحة الخلاني قبل أن يخربها بهائم الدين ويضعوا بدلا عنها مسجدا رمزيا صغيرا، وكأن المسجد الكبير على بعد عشرين مترا لا يكفيهم دلالة" على وجود الله الذي ما عرفته قلوبهم يوما.

كانت نيتنا المعلنة من لقائنا اليومي ذاك هو أن نراجع كتبنا المدرسية ونتبادل المعلومات ونساعد بعضنا على حل الأسئلة الصعبة وتوقع ما سيأتي في الامتحانات المنتظرة.

لكن ما ان تمرّ نصف ساعة على انكفائنا على الكتب حتى يبادر أحدنا الى رفع عقيرته بالغناء بصوت لا موهبة فيه لكنه عابق بالحيوية والشباب والحلم الذي لا يخيب لأنه يبعد آلاف السنوات الضوئية دائما.

ويضحك الآخرون ويقذفون كتبهم عاليا في الهواء ويضمون أصواتهم النشاز اليه ويصيح أحدهم:

"متى ننتهي من هذه الدراسة السخيفة ونذهب الى باريس لنعيش حياتنا؟"

باريس التي كنا نحلم بها كانت باريس بول إيلوار ولويس آراغون ومایاكوفسكي وكامو وإلزا تريوليه...

كانت باريس التي عاش فيها هيمنغواي بعضا من أجمل سني حياته وكتب عنها فيكتور هوغو بعض أجمل ما أنتجته الإنسانية من أدب.

باريس التي احتضنت أوسكار وايلد وبيكاسو وفان كوخ وشهدت ذبح دانتون وسان جوست...

باريس العمال والكومونة...

باريس التي أسقطت الباستيل وهزمت نابليون بونابرت وأخرجت لسانها لبونابرت الثالث حفيده الأحمق الذي كان يليق به أن يكون واحدا من حكامنا اذ امتلك كل مواهبهم تقريبا سوى أنه كان يقرأ قليلا من حين لآخر ولم يفرض يوما على أحد أن يكتب رواية يُعدم بعد إتمام تأليفها لتخرج الى الأسواق باسم القائد العبقري الذي حاز كل شهادات الدكتوراه الفخرية والمجدية والحمزية والسعدية والبلدية حتى أضاف اليها الجنرال فرانكو وسام ماريا الكبرى استحقاقا لوراثة الماركيز دي صاد.

باريس التي حلمنا بها لم يكن فيها دور أزياء وعطور ومواخير وممثلات بل متاريس يقف على رأسها العظيم دانتون وروبسبير وسان جوست ووراءهم يتصايح بؤساء فكتور هوغو وعلى الجانب الآخر مدافع بسمارك وجنود تيير.

باريس تلك كانت تستنشق عبق السين في الفجر ونساء اليعاقبة يتسلين بحياكة الجوارب ورتق القمصان المهترئة ولا يخطئن أبدا في غمرة ثرثرتهن في عدّ الرؤوس التي تدحرجت تحت حدّ المقصلة وهي تنهي عصرا وتعلن بدء آخر.

كنا نعرف باريس شبرا شبرا دون أن نراها.

وكنا نغني لها ونحلم بالتسكع فيها والتشرد في شوارعها مستذكرين أميل زولا وشخوصه وبيوت الصفيح وحقد الجوع على الاسراف الأهوج.

بعد ساعات من تبادل الآراء والأفكار وما سمعناه عن باريس منذ ليلة البارحة كنا نخلع القمصان والفانلات والأحذية والجواريب ونجمعها في كومة واحدة نخفيها تحت بعض أدغال الحديقة وأعشابها التي لم يعتن أحد بتنظيمها منذ أيام الثورة البيضاء ونسير حفاة ونحن نغني في قلب الليل.

هي رحلة الحجّ الليلية الى ضفاف دجلة.

لم نكن بعيدين كثيرا...

وبعد أقل من خمس دقائق نكون على بعد شارعين أو ثلاثة من ضفة النهر التي لن تخطئها الحواس. فمن على بعد مئات الأمتار كنا نشمّ عبق الماء ونشيش السمك يتلاعب فيه ويتقافز آمناً في هدأة الليل وبين فخاخ الشباك اللئيمة.

حين نبلغ جرف النهر كنا نقفز بسراويلنا وما فيها (وماذا كان فيها مما يستحق الحرص!) ونسبح في صلاة خاصة هي خليط من صلاة الموت وصلاة الوداع الحسرة.

كنا نبكي الفقد ونحن في قلب النهر اذ كان يبدو جليا لنا في اشراق الصدق والمحبة أننا على أبواب الفراق.

فراق قد لا نعود بعده أبدا ولن يتاح لنا أن نشم عبق هذا النهر بعد اليوم لذا كنا نسعى الى احتضانه واختزانه في ذواتنا.

كنا نشعر أننا في قلب الطِيب الممدد على طاولة الذبح وأن علينا أن نأخذ منه كل ما نستطيع لنقتات عليه يوم يحاصرنا القبح من جميع الجهات وأن نعيد زرعه أينما ذهبنا عساه ينبت جمالا جديدا.

في الصباح، كنا نصمت بقلوب واجفة ونحن نرقب انبلاج الفجر ثم احتراق ندف الغيم في أول خيوط الشمس وهي تصعد حمراء شيئا فشيئا فتبدو الغمائم صورة من تنور الطفولة الذي تحلقنا حوله صغارا ونحن ننتظر أمي تخطف من فم النار بأناملها العارية الرغيف الأول طريا عابقا حارا كالحب وترميه في أحضاننا.

في صباحات الأسى التي لا تنتهي بعد ذاك الفراق الذي اندس جرحا في العروق، لم يعد ثمة ما يغنينا عن لمسة الماء الأجاج يحتضن أجسادنا الصبيانية الراجفة في أحضان برد الليل الرؤوم ورذاذ الرذاذ يتطاير من أطرافنا ونحن نتقافز لنبعث فينا بعض الدفء.

* * *

سراج الحب الأول

في "سراج الدين"

سادراً في رحابِكِ
أكشفُ صدرَ الغَمامةِ
أكتبُ سرَّ المَطَرْ
أُوسِّدُ في راحةِ الوهْمِ روحي
وأبذرُ في رَحِمِ العقمِ بدءَ انْتِهائِي
وئيداً
وئيداً
أبدّدُ في لاهبِ الرملِ مائي
وئيداً
وئيداً
أودّعُ وجهَ الدروبْ

في أصائل الأيام التي ستأتي، وحين ينبلج كبرياء الحلم عن جراح الروح وحنينها رحت أستوقف الغيمة أسألها عن نهر كان هنا.

أسألها عن قلوب كالحليب ونوايا كالحليب في صباحات كالحليب كنت فيها أرتدي ثيابي وأحتضن دفاتري وأخرج الى المدرسة. وما ان أستقبل أول انعطافة في الدرب حتى تتسمّر الأقدام وأقبع بانتظارها.

متطلعا في الأشياء بدهشة عاشق فقير لا يملك الا وفاء الحب الأول وبراءة الصبا أرى الناس وحركة الشارع ولا أرى شيئا ولا أحس رمل الدم يترسب في الساقين انتظارا.

كل ما كنت أراه كان منى.

جارتي وفي مثل سني فقيرة مثلي بل وليس في بيتها حتى صنبور ماء لذا كنا نشاركهم الماء وكسرة الخبز وحفنة الملح وخرق الذكريات والانتظار مثلما يفعل الفقراء في كل الأماكن وفي كل العصور.

قبل الثامنة بقليل كانت تطل من آخر الشارع تتهادى فينخطف القلب ويشتد خفقه وأنتظر لحظة وصولها قربي. في وجهها الذي أعرف كل قسماته ومحاسنه كنت أرى نظرتها المرسلة من بعيد الى حيث أقف، ومن حيث أقف أحس ارتعاشة كفها المتشنجة على حقيبتها وتعرق أصابعها.

تجتاز موقفي من الشارع وهي ترنو بابتسامة الصباح فتلغي المفردات واللغة. أسير في أعقابها محاولا ألا ألفت انتباه أحد ونتبادل كلمتين لا نفتأ نكررهما كل صباح وكل صباح يكتسبان معنى جديدا وألقا آخر.

في السنين التي ستأتي ستكبر منى وسيكبر الحلم ونواصل اقتسام الماء والملح وكسرة الخبز وحلم الفقير وحزن الفقير. ومعا سنقضي قيظ الظهيرة في الحر اللاهب وريح السموم لا نكاد نشعر بشيء الا صورة كل منا في قلب الآخر واستعار الرغبة.

في الليالي كنا نفترش سطوح المنازل العابقة برائحة الآجر الذي فخرته الشمس طوال النهار ورشقناه ورشقنا بعضنا بدلاء الماء ضاحكين وفي دواخلنا نوايا خبيئة اذ تفصح الثياب المبللة عن جمال الأجساد الصبية ومكورات داهمها النضج فتفجرت صيحات لهفة صماء.

على حافات سور السطح نضع جرار الماء لتبرد متلصصين على بنات الجوار يعددن العدة لسهرة الأُسْرة ويعتنين بترتيب الأفرشة بانحناءات مراهقة حيّية تشف عن صدور تبرعم فيها الحنين وهي تنتظر تلصصنا بتجاهل مفتعل وشوق كامن.

وكالمعتاد، تتذكر جارتي "بغتة" شيئا قالته لها أمها وتريدني أنقله لأمي فتناديني وألبّي ونلتقي عبر سور السطح. تسألني أولا بصوت مرتفع عما إذا كانت أمي في البيت وهي تعلم أن أمي لا تكاد تغادره، وما ان أقترب حتى يذوب الجدار بين قلبين يموران هوى وينجلي خبث الادعاء فليس الا اعتلال المحبين.

حين ينام الجميع كان أرق الحبّ الأول يأتي بالمستحيل الى قلوبنا الصغيرة العاشقة. فتترجل الأنجم من علاها لتتخذ صورتها وتهمس بصوتها. وحين أغفو على هدهدة الليل والقيظ وصرير القوارض كانت النجوم تأخذني اليها لنقضي لياليا معا في حضن بهجة ما أينعت مذ داهمتها الظلمة.

يوم استفحل الطاعون القومي فحصد أجمل شباب العراق وانتهك أحلى صباحاتنا، كان علينا أن نكون أو لا نكون. أن نقف في وجه الموت أو

ننحني لحشرات الليل التي كانت تغتال أحبتنا حتى أصبح عاديا أن نرى أجسادهم الممزقة ملقاة على قارعة الطريق.

ووفدت علينا كل أنواع الجراد تأكل الأخضر واليابس وتهدم معابدنا وتقضّ مراقدنا وترتاد مرابدنا فتنشد القصائد العصماء في مدح دراكولا وقبيلة الخفافيش التي جاءت معه. وراحت رياح السموم تقتل أزهارنا وتنبثق نوافير الدمّ أنّى وطأنا.

رحنا نحفر بأظفارنا جسد الليل لتشرق شمسنا الموءودة من جديد. وكانت كلاب الصيد تتعقب خطانا وأنفاسنا وانتهى أكثرنا الى حضن الأرض أمنا الرؤوم. أما أتعسنا حظا فانتهى في أقبية التعذيب.

ويوم خروجي من سجن قصر النهاية الرهيب مستبسلاً جاءت منى، وكان للأحضان والقبلات معنى آخر، فهي معي أيضا ضد الطاعون وضد الليل.

وثانية جعلنا من صدورنا دروعا ورفعنا راية الثورة. لكن الغدر الكامن في وجدان أمة كالهرّة الحمقاء تأكل أبناءها لم يمهلنا طويلا، واستفقنا على أصوات الخيانة، واخترنا ما أسميناه "مناورة" الهجرة لاستجماع القوى ومعاودة النزال.

بعد بضع سنين من غربة الجسد سمعت أن حارتنا هُدمت، وأهلها طردوا وأن منى ماتت. قتلتها سيارة طاردتها في الشارع وصعدت اليها على الرصيف لتدهسها ولم يُعرف من هو السائق في وطن ضاع بين قصر النهاية والعجلات السريعة.

قتلتها العجلات السريعة والسائق لم يعرف ولن يعرف أبدا لأنه لا يخفى أصلا! فمن عساه يكون سوى دراكولا مصّاص دمائنا الذي لا يرتوي.

في ليالي السهاد الطويلة التي ستبصم سوادها في كل شيء وعلى كل شيء لا زالت مُنى حكاية الأنجم العاشقة التي تترجل كل ليلة من علاها وتأتي بصورتها وتهمس بصوتها.

في زمهرير الغربة جمعت رسائل الأهل ومسودات القصائد وصور الأحبة وأعلام الوطن وأوقدت نارا لكن لا دفء فيها، ولم تعد صورة منى تغزل الضوء كما اعتادت ولا ظلها يتراقص على الجدران.

حين تغفو الروح بين كوابيس دراكولا وأرق الغرباء وأحزانهم وصرير القوارض تأكل بقايا الحلم وجحافل الأوهام وتسفك ما تبقى من رحيق العمر، لم تعد النجوم تأخذني الى حيث منى ولا تأتيني بها لنقضي لياليا معا في حضن بهجة ما أكرمتنا الأيام بها...

* * *

تسلسل القصائد

1	هكذا يكتب الرائي رؤاه	6
2	أمّي	10
3	رضعتُ النارَ من ثديٍ الثُريّا	11
4	بين بغدادَ والشمسِ قنطرةٌ	13
5	توهمتُ فيك شراعي	17
6	لـُبْنى	20
7	خائفٌ منكَ عليكْ	22
8	ماذا يظنّ الياسمينُ	23
9	بين يديك يهيم الهوى	28
10	بَوْحُ الصنوبر	30
11	هيام	31
12	نبعَ ينابيعِ الفيضِ	32
13	لا الشهدُ يَعْدِلَه ولا القداح	34
14	لا تتكأي يا زهرةَ الرُمّان	37
15	صمتاً	40
16	شهـــــــرزاد	41
17	معاً يا حبيبي	47
18	نوافذِ روحي	49
19	مُـنـى	52
20	رَواد	53
21	بين يديكِ	54

22	مَيـْــس	56
23	أبحث عن لغة	58
24	عرسُ السمّ	61
25	قطوف الروح	65
26	برستو	66
27	جنون الماء	68
28	ربيعُ الفؤوسْ	71
29	أرجوحة الضائعين	75
30	حدائق الدهشة	81
31	الموت معشوقي	100
31	حنين	105
32	أرقي وشيء فيك	107
33	وابل الرغبات	109
34	حُزْنُ الأجِنّة	111
35	رسالة الى الربّ	113
36	نجيع وطن	115
37	رمال	118
38	هواجس	119
39	طريق الموت	120
40	بكاء الينابيع.....	124
41	رذاذ	125
42	سراج الحب الأول	130

كنتُ ليلاً

كتَبَ اللهُ على جفنيهِ ضحكاتِكَ في الليلِ

كأقمارِ زحلْ

واحةً ينداحُ زهرُ الماءِ فيها

بينَ زهرِ الماءِ والماءِ

كأجراسِ القُبـَـلْ

وحنايا خَفَقَتْ فيها الحنايا

وجلاً ينسلُّ من بينَ حناياه الوجلْ